ولا يجمع خطبة وترك الثنا على الملوك وابطل صلاة الرغايب ونصف شعبان وكان بينه
وبين الصلاح ما كان بسبب ذلك وكتب له السلطان الاشرف موسى جوابا عنه كتابا يكتبه
العز الشيخ فطلب منه عقد مجلس بسبب العقايد وكان الاشرف متحاملا عليه مع خصومه
الحنابلة فكتب اليه العز كتابا فاني احرزه وبعد فاننا نزعم انا من جملة حزب الله وجنده وكل
جندي لا يخاطر بنفسه فليس بجندي وافتتحه بقوله فوربك لنسألنهم اجمعين الاية
ولما سلم الملك الصالح اسمعيل قلعة صفد للفرنج نال منه على المنبر ولم يدع له فغضب السلطان
وعزله وسجنه ثم اطلقه فتوجه الى مصر هو وابن الحاجب فولاه السلطان قضا مصر فتمكن
من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اكثر فشق على حاشية الملك فعزله ومن كلامه
الشريعة كلها مصالح اما بدرء مفاسد او بجلب مصالح فاذا سمعت الله يقول يا ايها الذين
امنوا فتامل وصيته بعد ندايه فلا تجد الا خيرا يحثك عليه او شرا يزجرك عنه او جمعا
بينهما وقال من اول دليل على ان القوم قعدوا على اساس الشريعة وقعد غيرهم على الرسوم
ما يقع على ايديهم من الخوارق ولا يقع شي منها لفقيه الا ان سلك طريقهم وقال كلام العارف
ينبع من قعر قلبه قلبه سوقه خيرا وانكاره الى رعيب لسانه فيقع على مزارع المسامع فاذا
صادف ارضا طيبة انبت شجرة طيبة تطلع ازهار الحكم وثمار العبر وقال لا تصحب الا من
تجد من انفاسه عطرية نفحات المعرفة وثمرات المحبة فانه من الانفاس ما تكون نسيما
ومنها ما تكون سموما محرقا وقال اذا اراد سلطان المحبة يصطفي لنفسه حبيبا بعث اليه بريد
الارادة وجرد في طلبه جيوش الرعاية وجند جنود العناية فوافوه في بادية الطلب حاير
وعلى اقدام سلوك الادب سايرا لا يعرف جهة فيسير اليها ولا لقية فيعول عليها فاخذ
بيده رفيق التوفيق ودل به دليل التحقيق وقال العارف من فاح من طيب انفاسه عرف المعرفة
بالله ولاح لجلاسه من اسارير وجهه نور الايمان بالله فكلامه شفا ونوره نور
وضيا وقال يا اهل السلوك الى منازل الملوك الطريق ضيق المجال لا يسلكها الا فحول الرجال
فمن لا دليل له فهو ضال ومن لا سالك له فهو الجهال ومن لا مربي له فهو من الانذال
له فدعواه محال من لا شيخ له فهو خايب الامال من لا ادب له سقط من عين الكمال من لا
له نصحته شواهد الاحوال من لا همة له نزل عن رتب العوال من لا عزيمة له انقطع عن
من لا عمل له نعلمه نكال واعجباه الى بطال يتطاول في منازل الابطال وهو من الاطفال
يحول لمجال الرجال وقال اذا بذرت حبة المحبة في ارض القلوب السليمة رسخت عروقها
في اعماق السراير المستقيمة ونسخت احكامها القديمة ما كان من الاوصاف والاخلاق

الذميمة

الذميمة ومن كراماته انه لما ورد الخبر بوصول التتار رسم السلطان المظفر قطز بالخروج
بعد العيد فطلع عليه وقال ما تاخرك قال حتى نهيي اسبابنا فقال لا قم قال فتضمن لي على الله
النصر قال نعم فكان كما قال ولما وصل الفرنج الى المنصورة لقتال المسلمين في مراكب عديدة والريح
شرعت قلوعها واستظهر العدو وضعفت قلوب المسلمين وكان الشيخ معهم فاشار بيده الى
الريح وقال يا ريح خذيهم عدة مرار فعادت على الفرنج وكسرت مراكبهم وكان الفتح ومنها ان
السلطان كلمه مرة بغلظة فغضب وحمل حوايجه على حمارة واركب زوجته ومشى خلفهم خارجا
من القاهرة فلحقه غالب المسلمين رجالا ونسا وصبيانا فبلغ السلطان الخبر فقيل له متى راح
ذهب ملكك فلحقه وترضاه حتى عاد ومنها قومته الكبرى في امرا مصر وقوله لهم انتم ارقا
يجري عليكم احكام العبيد فلم يستطع احد منهم ان يعارضه حتى ان نايب السلطنة استشاط
غضبا وقال كيف يقول هذا ونحن ملوك الارض والله لاضربنه بسيفي هذا وسل سيفه وركب
في محفله وجا للشيخ والسيف مسلول فدق الباب فخرج ولده وعاد فاكثر ثم خرج كانه
قضا الله نزل على ذلك الاسد فحين عاينه يبست يده وسقط السيف فبكى وسال الشيخ
ان يصفح عنه فقال بشرط ان انادي عليكم وابيعكم واصرف الثمن في المصالح فنادى على
اوليك الامرا واحدا بعد واحد ولم يبعهم الا بالثمن البالغ ولم يبتطح بها عنان وهذا
لم يقع نظيره لاحد ومنها انه كان بينه وبين رجل في الريف صداقة فارسل له هدية
فيها وعاجين فانكسر في الطريق فاشترى الرسول بدله من دمشق فلما وصلت الهدية للشيخ
قبلها الا العجين وقال هذا الذي جلبته يدها نجسة بلحم خنزير ولم يكن علم الخبر وخرج
يوما الى الدرس وعليه قبع لباد وقد نسي فلبس فروته مقلوبة فتبسم بعض الحاضرين فتامله
الشيخ ولم يكترث وقال قل الله ثم ذرهم الاية وكان مع شدته فيه حسن محاضرة بالنوادر
والاشعار وكان يحضر السماع ويرقص ويتواجد وكان يطعن في ابن عربي ويقول
زنديق فقال له بعض صحبه اريد ان ترينى القطب فاراه ابن عربي فقال انت تطعن
فيه فقال لا اصون ظاهر الشرع قال اليافعي اخبرني به غير واحد ما بين مشهور بالصلاح
والفضل ومعروف بالدين والفقه والعدالة من اهل الشام ومصر ولما مرض قال له
السلطان من في اولادك يصلح لوظايفك قال ليس فيهم من يصلح لشي منها وافتى مرة ثم
ظهر له انه خطا فنادى في مصر والقاهرة من افتى له فلان بكذا فلا يعمل به فانه خطا
ووقع مرة غلا كثير وصارت البساتين تباع بثمن قليل فاعطته زوجته حلقا لتشتري
لها به بستانا فتصدق بثمنه فقالت له اشتريت لنا قال نعم اشتريته في الجنة وكان مع

Copyright © King Saud University